العرب
الجمعة 2019/10/18
السنة 42 العدد 11501

في أحوال الدراسة خارج الشبكة العنكبوتية

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

ما يلي سرد لمسار ما اختبره الآلاف من الفنانين أو ربما أكثر. تخرجت في الجامعة سنة 1992 وعملي بدأ في مجال اختصاصي، أي مجال المرئي والمكتوب والمسموع المطعّم باهتمامات محددة، وهي الثقافة بشكل عام والفنون البصرية بشكل خاص، ليستمر إلى الآن. وقد اخترت هذا الاختصاص لأنه سيؤمن لي عملا ولا يبعد البتة عن الفنون بالمعنى المطلق للكلمة.

غير أنني بعد مرور العديد من السنوات وبروز التقنيات التكنولوجية الخاصة بشتى أنواعها البصرية بدأت أهتم بها كثيرا، وأرى فيها بعدا مشوقا وجديدا سيدفع بما تعلمته أو اختبرته إلى مكان أكثر تبلورا، وصرت في سري أقول: يا ليتني أستطيع العودة بالزمن لكي أتخصّص في مجال الفن الديجيتالي والمؤثرات والتقنيات البصرية التي تؤهلني للدخول إلى عالم الفيديو آرت والتحريك وكل ما هو مرتبط بالمرئي، إضافة إلى تخصّصي الأساسي الذي فيه روعة الجسور الممدودة إلى آفاق ليست بالضرورة معاصرة لها.

التحسر على ما لم نتعلمه لم يعد قدرا لا فكاك منه؛ إذ نستطيع، اليوم، تعويضه عبر ضغط الزمن ودمج القديم في الجديد

فكّرت بأن أعود إلى الجامعة لكي أدرس هذا العلم الفني بامتياز، غير أن الوقت لم يكن متاحا لي كما أن الأقساط الجامعية في هذا المجال كانت خيالية. لذلك حاولت بكل ما لديّ من قوة وخبرة وعلم أن أصنع حداثة خاصة بي في مُقاربة ودمج الوسائط والمضامين بغية إنتاج نص بصري وكتابي وسمعي في آن واحد. وقد يكون برنامج "قصة لون" الذي أنتجته بالكامل في الحقل التلفزيوني أول تجربة في هذا المجال وأول تحايل مُوفّق على النقص في المعرفة بالتقنيات الحديثة. كان ذلك في سنة 1995.

ثم جاءت الإنترنت وانتشرت قابلية استخدامها وجاءت معها فرصة أن أتعلم كل التقنيات التي تشوّقت إليها طويلا، وذلك عبر متابعة دروس على مواقع مُتخصّصة بعيدا عن دفع المبالغ الطائلة وعن ضرورة الالتزام بوقت محدد.

حاولت، وتعلمت بعض الأشياء، ولكن لم تكن كافية. لم تكن كافية، ربما لأنني من الجيل المخضرم غير المتصالح تماما مع التكنولوجيا وفي أن تكون جامعتي "آلة" وأستاذي لا يعرفني ولم ولن أراه يوما. توقفت عن المحاولة من شدة الملل الذي لم أعرف أسبابه أساسا.

عدت بقوة منذ أكثر من سنة إلى "التودّد" إلى تلك التقنيات المُشتهاة منذ زمن طويل. أما فكرة أنني ربما قد أكون تأخّرت عن تعلم تلك التقنيات فصارعتها ودحرتها كعدو لم أقبل أن يهزمني وجعلت منه صديقا رغما عنه.

جاءت الفرصة في ما أستطيع وصفه بجمع المجد من أطرافه عندما بدأت بمتابعة دروس "بالطريقة التقليدية" خارج حدود الجامعة وضمن جغرافية صف حميمي ابتكرها لي ولعدد من الطلاب الآخرين أستاذ اسمه طوني.

وطوني أستاذ "تقليدي" له وجه وقلب وروح مرحة وصبر خيالي، وهو عصري جدا بكل ما يعرفه من تقنيات لطالما أردت الإمساك بزمامها لكي تأخذني بعيدا من حيث بدأت منذ أكثر من خمس عشرة سنة.

أستاذي في هذه المواد أتمناه لكل طالب في زمن التكنولوجيا. لم يأخذ وقتا طويلا قبل أن يدرك سر تلكئي في تنفيذ تعليماته، تلكؤ كان مشكلتي في أيام الدراسة الثانوية والجامعية وأساسه استعدادي الغريب الشكل للشرود وفي أن تأخذني أفكاري إلى مكان آخر خارج عن الانشغال بالحاضر.

لم يكن عليه إلاّ أن وضّب مكانا لي إلى جانبه كي يضبطني بالجرم المشهود حين ألاعب ما تعلمته بعيدا عن توجيهاته، ليعيدني برفق ولكن بحزم إلى مرافقته خطوة تلو خطوة.

وكنت وما زلت أراه يرمقني بين الفينة والأخرى بطرف عينه مع ابتسامة تسمح لي لبضع دقائق بأن "أخرج عن النص"، عن نصه هو، وتعليماته.

اليوم عرفت سر مللي من التعلم عبر الإنترنت. وهو أن لا شيء يحل مكان حميمية التواصل ما بين الأستاذ/ الإنسان والطالب. صحيح أن المكان يتغير مفهومه مع الوقت وأن الفضاء الافتراضي يفرض ذاته كل يوم أكثر من قبل وأن التعلم عبر الإنترنت له فوائده ومنها الكلفة الضئيلة أو اللاكلفة على الإطلاق. ولكن للأسلوب التقليدي في التعلم فوائد أكبر؛ فهو يسمح بالتواصل مع الطلاب الآخرين والاستماع إلى أسئلتهم وأجوبة الأستاذ، ويسمح بمداخلات عديدة تفتح المجال إلى تنوير أعمق، ويخلق فضاء حيويا يتم فيه تبادل الأفكار والملاحظات، كما يسمح للأستاذ بأن يقدّم ما يحتاجه طالب دون آخر وخاصة إن كان عدد التلامذة قليلا.

وربما، الأفضل هو الدمج بين الأسلوبين، الدراسة بالأسلوب التقليدي المُدعم بما تقدمه الإنترنت ولاسيما اليوتيوب من معلومات وتمارين وأمثال عديدة.

اليوم، لم يعد التحسر على ما لم نعشه أو نتعلمه قدرا لا فكاك منه، لأننا نستطيع التعويض بفضل إمكانية ضغط الزمن ودمج القديم في الجديد.

كنت أتبنى ما قاله يوما عباس محمود العقاد "أهوى القراءة لأن عندي حياة واحدة في هذه الدنيا، وحياة واحدة لا تكفيني، ولا تحرك كل ما في ضميري من بواعث الحركة..". ولكن ليس بعد الآن. حياة واحدة تكفي لأتعلم كل ما أريد تعلمه. وكم أحب الآن أن أقول للشاعر محمود درويش: بلا، حياة واحدة تكفي لنحلم ونعيش أحلامنا، فالليل "يكفينا لنحلم مرتين".

ما عادت الإنترنت عصية على أحد

الفرد نجم أعمال الباكستانية باني عبيدي

إشراقات فنية من جنوب أسيا وغربها

منير شرودي وباني عبيدي: الخروج من الثقافة المحلية إلى العالمية

تعد تجربة كل من الفنانة الإيرانية الراحلة منير شهرودي فارمنفرمايان والفنانة الباكستانية باني عبيدي من التجارب اللافتة في مجال الفنون البصرية حول العالم، لما لهما من خصوصية فنية تستند أولا وأخيرا على حصيلتهما الثقافية والمعرفية المحلية. ورغم تباين الأجيال الواضح بين تجربتي الفنانتين إلا أن تجاربهما الفنية تعكس على نحو واضح التأثيرات الثقافية والبصرية السائدة في مجتمعهما، كما تحملان معا إرثا فنيا مشتركا يضرب بجذوره في تاريخ المنطقة.

ناهد خزام
كاتبة مصرية

تفتتح مؤسسة الشارقة للفنون، السبت، ضمن برنامجها لخريف 2019 معرضين هامين لاثنتين من الفنانات البارزات في كل من إيران وباكستان، وهما "شروق وغروب" للإيرانية الراحلة منير شهرودي فارمنفرمايان و"أرض المرح" للباكستانية باني عبيدي.

حس تأملي

يستمر معرض الفنانة منير شهرودي حتى نهاية ديسمبر المقبل، وهو يقام بالتعاون مع المتحف الأيرلندي للفن الحديث، وتحت إشراف الشيخة حور بنت سلطان القاسمي رئيس مؤسسة الشارقة للفنون، ويرتشل توماس من المتحف الأيرلندي.

يضم معرض "شروق وغروب" للإيرانية الراحلة منير شهرودي أكثر من سبعين عملا فنيا بين الرسم والنحت وتصاميم الحلي، إلى جانب الأعمال الورقية والكولاج، في رصد استيعادي لمسيرة شهرودي الفنية التي امتدت لأكثر من ستة عقود.

وولدت شهرودي في مدينة قزوين بإيران عام 1924 وانتقلت إلى نيويورك في منتصف الأربعينات لدراسة الفن والأزياء، وخلال هذه الفترة جمعتها صداقة بالعديد من الفنانين العالميين، أمثال فرانك ستيلا وآندي وارهول ووليم دي كونج.

عادت الفنانة إلى بلدها في نهاية الخمسينات إلى أن غادرته مجددا بعد اندلاع الثورة الإيرانية في نهاية السبعينات لتستقر مرة أخرى في نيويورك. ومنذ بداية الألفية استطاعت شهرودي أن تستعيد مكانتها في المشهد الفني الإيراني من جديد كإحدى أبرز الفنانات الإيرانيات المعاصرات، حتى رحيلها قبل أشهر قليلة عن عمر يناهز التسعين عاما.

ولفتت أعمال شهرودي انتباه الوسط الفني في الولايات المتحدة، وتميزت تجربتها الفنية على نحو خاص بتركيباتها الهندسية المستوحاة من الزخارف الإسلامية والتي وظفت فيها فن الموزاييك، وقطع الزجاج الملون والمرايا. وهي التي عرضت أعمالها في العديد من المتاحف العالمية مثل متحف المتروبوليتان ومتحف شيكاغو وتيت غاليري. كما أقيم لها في طهران متحف لأعمالها، وهو يعد أول متحف هناك تتم إقامته لعرض أعمال فنانة واحدة.

وتمزج أعمال منير شهرودي بين التجريد والممارسات الفنية المحلية، من الزخارف الفارسية والعمارة الإسلامية، ما أضفى على أعمالها حسا تأمليا، معتمدة في ذلك على الأشكال الهندسية والألوان الزاهية والتوظيف المبتكر للضوء.

وبدأت الفنانة أولى محاولاتها في استخدام الزجاج والمرايا في أعمالها خلال سبعينات القرن الماضي بعد زيارتها لأحد المساجد الشهيرة في مدينة شيراز الإيرانية ورؤيتها للفسيفساء الزجاجية التي تزيّن نوافذه وأبوابه وتعكس صورة الزوار.

الإيرانية شهرودي مزجت في أعمالها بين التجريد والممارسات الفنية المحلية من الزخارف الفارسية والعمارة الإسلامية

واستمر اعتماد منير شهرودي على التشكيل بالزجاج الملوّن والمرايا طويلا، وميّز أعمالها التي غلب عليها الطابع الهندسي والتكرار، وقدرتها على توظيف الضوء كأنها تختزنه داخل أعمالها، فيبدو حين عرضه كأنما يندفع منها إلى محيط المكان.

سخرية سياسية

في المقابل، يستمر معرض الفنانة الباكستانية باني عبيدي المعنون بـ"أرض المرح" حتى منتصف يناير المقبل، وهو من تقييم الشيخة حور بنت سلطان القاسمي وناتاشا جينوالا القيمة المساعدة في متحف جروبيوس باو في برلين. ويضم المعرض نماذج مختلفة من أعمال الفنانة الباكستانية، تشمل أشرطة فيديو وصورا فوتوغرافية وأعمالا صوتية وتركيبية، إلى جانب عملين جديدين أنتجتهما الفنانة بتكليف من مؤسسة الشارقة.

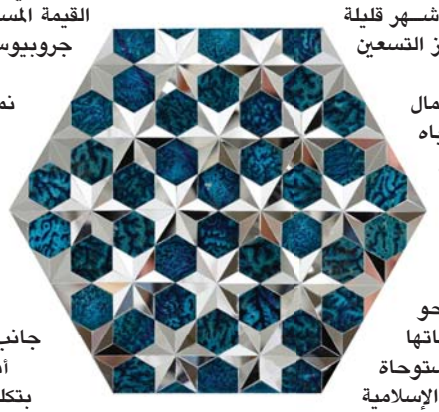

وفي أعمالها تهتم باني عبيدي بطرح تساؤلاتها حول الذاكرة الشخصية والوطنية والسياسية عبر تسليط الضوء على باكستان المعاصرة، وتاريخ جنوب آسيا بشكل عام، كما يغلب على أعمالها حس السخرية والاهتمام بالجوانب الأدائية للحياة اليومية والتغيّرات التي طرأت على مجتمعها، خاصة في فترة ما بعد الاستقلال، والآمال التي تم سحقها بعنف من جراء صعود الإسلام السياسي في ظل الحكم العسكري.

وتتنقل أعمال عبيدي بين الروايات الشخصية والمجتمعية التي شكلتها صراعات السلطة التاريخية في جنوب آسيا، بالإضافة إلى العلاقات الجيوسياسية الحالية بين الهند وباكستان. وفي تجربتها الفنية أيضا تسلط الضوء على الصراع بين الدولتين الجارتين وهذه العلاقة المعقدة فيما بينهما والتي سببتها عدة حداث تاريخية وسياسية، على الرغم من الروابط المختلفة التي تجمع بينهما، كاللغة والثقافة والجغرافيا والتاريخ أيضا، لذا فهي تركز اهتمامها على حياة الأفراد المتأثرين بهذه النزاعات.

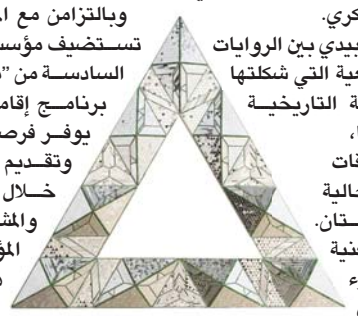

وتهتم باني عبيدي في المطلق بقضايا الأقليات العرقية والدينية في كلا البلدين، وقدّمت أفلاما وثائقية تصوّر مجموعات الأقليات في باكستان مثل الهندوس والمسيحيين والزرادشتيين، وكفاحهم من أجل الحفاظ على هوياتهم في ظل مناخ عام يتجه نحو التشدّد والأصولية.

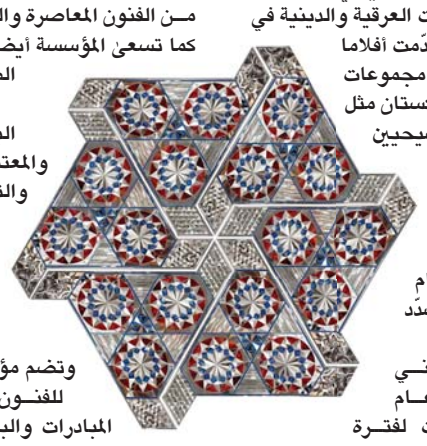

وولدت باني عبيدي في عام 1971 وعاشت لفترة متنقلة بين مدينتي نيودلهي وكراتشي، حتى انتقلت في نهاية التسعينات إلى الولايات المتحدة لدراسة الفنون. وتركز اهتمام الفنانة خاصة على دراسة الفيديو، الذي مزجت بينه وبين ممارساتها الفنية الأخرى، وهي تقيم وتعمل حاليا في مدينة برلين الألمانية. وقد عرضت أعمالها في العديد من المعارض والمهرجانات الدولية، كما شاركت في العديد من برامج الإقامة الفنية ونظمت أكثر من 12 معرضا فرديا حول العالم.

وبالتزامن مع المعرضين السابقين تستضيف مؤسسة الشارقة الدورة السادسة من "مشروع مارس" وهو برنامج إقامة سنوي للفنانين، يوفر فرصا للبحث وتفعيل وتقديم أعمال محددة من خلال زيارات ميدانية والمشاركة في فعاليات المؤسسة. ويشارك في هذه الدورة فنانون شباب من الإمارات والسعودية وكولومبيا ليستكشفوا معا عددا من القضايا التي تتضمن العلاقات بين العمارة والبيئة، بالإضافة إلى الممارسات التراثية المعاصرة. ومن خلال تنظيم هذه الفعاليات تسعى مؤسسة الشارقة للفنون إلى تفعيل الحراك الفني في المجتمع المحلي في الإمارات والمنطقة، عبر استقطاب أكبر طيف ممكن من الفنون المعاصرة والبرامج الثقافية. كما تسعى المؤسسة أيضا إلى تحفيز الطاقات الإبداعية وإنتاج الفنون البصرية المغايرة، والمعتمدة على البحث والتجريب والتفرد، وفتح أبواب الحوار مع كافة الهويات الثقافية والحضارية.

وتضم مؤسسة الشارقة للفنون مجموعة من المبادرات والبرامج الأساسية مثل بينالي الشارقة ولقاء مارس وبرنامج الفنان المقيم والبرنامج التعليمي، خلافا للمعارض والبحوث والإصدارات المختلفة التي تؤكّد على الدور الذي تلعبه الفنون في حياة المجتمع.

تشكيلات هندسية بالزجاج الملوّن والمرايا (أثر فني لمنير شهرودي)